السنة الخمسون بعد المئة

فيها خرج أستاذسيس العجمي في ثلاث مئة من أهل سجستان وهراة وباذغيس وكور خراسان، وغَلب على هذه الأماكن، وهزم قوَّاد أبي جعفر، واستولى على مرو الروذ، وكان محمد بن أبي جعفر المهدي يومئذ بالرَّيّ، فجهَّز إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة في جيشٍ كثيف، وأمرَه بقتال أستاذسيس، وكان أكثر عسكر أستاذسيس رجالة، فهزمَهم الله، وقُتِل من أصحاب أستاذسيس سبعون ألفاً، وأسروا أربعةَ عشر ألفاً، فضرب خازمٌ رقابَهم، والتجأ أستاذسيس إلى جبل، وأقامَ خازم يحاصره وكان قد بقي مع أستاذسيس ثلاثون ألفاً، فنزلوا على حكم خازم، فأسرَ أستاذسيس وأولاده وأَعْتَق الثلاثين ألف، وكتب خازم إلى المهدي بالفتح.

وقال الواقدي: كانت هذه الوقعة في سنة إحدى وخمسين ومئة[(١)].

وفيها عزل أبو جعفر جعفرَ بن سليمان عن المدينة وولاها الحسن بن زيد بن الحسن[(٢)(٣)] بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفيها توفِّي جعفر بن أبي جعفر المنصور، ويقال له: الأكبر.

وفيها توفي أبو حنيفة.

وكان على المدينة الحسنُ بن زيد العلويّ، وحجَّ بالناس محمد بن إبراهيم الإمام، وكان على مكة في هذه السنة[(٤)]، وعلى الكوفة محمد بن سليمان بن علي، وعلى

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٢ أن الواقدي ذكر أن خروج أستاذسيس كان في سنة خمسين ومئة، وأن هزيمته في سنة إحدى وخمسين ومئة.

(٢) في (خ): الحسين. والتصويب من المصادر.

(٣) وقع في المعرفة والتاريخ ١/ ١٣٥، وتاريخ الطبري ٨/ ٣٢، وتاريخ الإسلام ٣/ ٨٠٦: بن الحسن بن الحسن.

والمثبت هو الصواب انظر الكامل ٥/ ٥٩٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٤١٤.

وانظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤٢، وستأتي ترجمته في وفيات سنة ثمان وستين ومئة.

(٤) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٢: وحج بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان العامل على مكة والطائف... وقيل كان العامل على مكة والطائف محمد بن إبراهيم الإمام. وانظر الكامل =

البصرة عقبة بن سالم، وعلى قضائها سوَّار بن عبد الله، وعلى مصر يزيد بن حاتم، وعلى خراسان المهدي.

الحجاج بن أرطاة

ابن ثور النخعيّ، وكنيته أبو أرطاة، ذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة من أهل الكوفة، وكان شريفاً مَرِيًّا[١]، وكان في صحابة أبي جعفر، فضمَّه إلى المهدي، فلم يزل معه حتى توفي بالري، والمهدي بها يومئذٍ في خلافة أبي جعفر.

وذكره الخطيب وقال: وهو أوَّلُ من ولي القضاءَ بالبصرة لبني العباس، جاء يوماً إلى حلقة عثمان البَتِّي، فجلس في عرض الحلقة، فقيل له: ارتفع إلى الصَّدر، فقال: أنا صدرٌ حيثُ كنت. قال: وكان فيه تيهٌ شديد[٢].

وكان من حفَّاظ الحديث والفقهاء، استُفتي وهو ابن عشرين سنة[٣]، وحضر مع أبي جعفر بناءَ بغداد، وولي خطها، ونصبَ قبلةَ مسجدِها[٤].

وروى الخطيب عن القاضي أبي يوسف قال: كان الحجاج بن أرطاة لا يشهدُ جمعةً ولا جماعة ويقول: أكرهُ مزاحمةَ الأنذال[٥].

وكانت وفاته بالرَّيّ في هذه السنة.

عبدُ الملك بن عبد العزيز بنِ جُرَيج

إمامُ أهل مكة، ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل مكَّة، وكنيتُه أبو الوليد.

= ٥/ ٥٩٤، والمنتظم ٨/ ١٢٢.

(١) كذا وقع في (خ) وطبقات ابن سعد ٨/ ٤٧٩، والمريّ: الرجل المقبول في خَلْقِه وخُلُقِه. اللسان (مرا). ووقع في تاريخ بغداد ٩/ ١٣٤ ـ نقلاً عن ابن سعد ـ: سريًّا. وسريًّا أي صاحب شرف ومروءة. انظر اللسان (سرا).

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٣٧، ١٣٩.

(٣) في تاريخ بغداد ٩/ ١٣٥ من قول حجاج: استفتيت وأنا ابن ست عشرة سنة.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ١٣٣.

(٥) ونقل في السير ٧/ ٧٢ عنه أنه قال: لا تتمُّ مروءة الرجل حتى يترك الصلاة في الجماعة. قال الذهبي: لعن الله هذه المروءة، ما هي إلا الحمق والكبر، كي لا يزاحمه السوقة.

قال: وولد عبدُ الملك بنُ عبدِ العزيز سنةَ ثمانين، عام الجحاف؛ سَيْلٌ كان بمكَّة[١].

واختلفوا في وفاته، فحكى ابنُ سعد عن الواقدي أنَّه ماتَ في أول عشر ذي الحجَّة سنة خمسين ومئة، وهو ابنُ ستٍّ وسبعين سنة، وكان ثقة كثيرَ الحديث[٢].

وقال أحمد العجلي: مات سنة تسع وأربعين ومئة[٣]. وقال علي ابن المديني: في سنة إحدى وخمسين ومئة.

سمع ابنُ جريج من عطاء بن أبي رباح، وكان عطاء يقول: هو سيدُ شبابِ أهل الحجاز[٤].

عبد العزيز بن سلمان[٥]

أبو محمد الراسبي البصري، من الطبقة السادسة من أهل البصرة. قال ابن أبي الدنيا: كانت رابعةُ تسمِّيه سيدَ العابدين من أهل البصرة[٦].

وقال ابن أبي الدنيا: كان عبد العزيز إذا ذَكَر القيامةَ والموت صرخَ كما تصرخُ الثَّكلى، ويصرخ الخائفون من جوانب المسجد[٧]. قال: وربَّما رُفع الميِّت والميتان.

وروى ابن أبي الدنيا عن مسمع بن عاصم قال: بت أنا وعبد العزيز بن سلمان[٨] وكلاب بن جري وسلمان الأعرج على بعض سواحل البحر، فبكى كلاب حتى خشيت

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٥٣ ـ ٥٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٥٤.

(٣) المنتظم ٨/ ١٢٥. ونقل هذا القول عن ابن المديني وأبي حفص الفلاس. وقال الذهبي في السير ٦/ ٣٣٤: وهذا وهم. فقد قال يحيى القطان ومكي بن إبراهيم وأبو نعيم وعدة: مات سنة خمسين ومئة...
ثم قال: عاش سبعين سنة، فسنه وسنُّ أبي حنيفة واحد، ومولدهما ووفاتهما واحد.

(٤) انظر ترجمته أيضاً في تاريخ بغداد ١٢/ ١٤٢، وتهذيب الكمال ١٨/ ٣٣٨.

(٥) في (خ) والمنتظم ٨/ ١٢٥: سليمان، والمثبت من حلية الأولياء ٦/ ٢٤٣، وصفة الصفوة ٣/ ٣٧٧، وتاريخ الإسلام ٤/ ٦٨٣.

(٦) انظر صفة الصفوة ٣/ ٣٧٧، والقول فيه من رواية أحمد بن أبي الحواري عن عبد العزيز بن عمير.

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٤٣ بإسناده إلى أبي طارق التبان، وانظر صفة الصفوة ٣/ ٣٧٧، والمنتظم ٨/ ١٢٦.

(٨) في (خ): سليمان. والمثبت من حلية الأولياء ٦/ ٢٤٤، وصفة الصفوة ٣/ ٣٧٧.

أن يموت، وبكى عبد العزيز لبكائه، ثم بكى سلمان وأنا لبكائهم، لا أدري ما أبكاهم! فسألت عبد العزيز عن بكائه فقال: إني نظرت إلى أمواج البحر تموجُ، فذكرت أطباق النيران وزفراتها، فذلك الذي أبكاني، ثم سألت كلاباً وسلمان فقالا نحواً من ذلك، قال مسمع: فما كان في القوم شر منِّي، ما كان بكائي إلَّا لبكائهم رحمةً لما يصنعون بأنفسهم.

وروى أبو نعيم عن محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال: كان أبي إذا قامَ من الليل ليتهجَّد سمعتُ في الدار جلبةً شديدةً، واستقاءً للماء الكثير، قال: فنرى أنَّ الجن كانوا يستيقظون للتهجُّد، فيصلُّون معه.

وروى ابن ناصر بإسناده إلى دهثم ـ وكان من العابدين ـ قال: كنت آتي عبد العزيز، فأبطأتُ عليه يوماً ثم جئتُه، فقال: ما الذي أبطأك عنِّي؟ قلت: العيال، قال: هل وجدت لهم شيئاً؟ [قلت: لا]، قال[1]: فهلمَّ لندعو، فدعا بدعاءٍ، وأمَّنتُ، وإذا والله الدراهمُ والدنانير تتناثرُ في حجورنا، فقال: دونكها، ومضى ولم يلتفت، قال: فأخذتُها وعددتها، وإذا مئةُ دينار ومئة درهم، قيل له: فما صنعت بها، قال احتبستُ قوتَ عيالي جمعةً حتى لا يشغلوني عن خدمة عبد العزيز ورؤيته[2]، ثم أخرجت الباقي في سبيل الله. فقال الراوي: يحقُّ والله لهؤلاء أنْ يُرزقوا بغيرِ حساب.

وروى ابن أبي الدنيا قال: قيل لعبد العزيز: ما بقي من لذَّتك؟ قال: سردابٌ أخلو فيه بربي.

قال: وكان لا ينام إلَّا مغلوباً، ويقول: لا نومَ في دار الدنيا، ما للعابدين والنوم!

وروى ابن أبي الدنيا أيضاً قال: دعا عبد العزيز يوماً في مجلسه لمُقْعَدٍ من إخوانه، فوالله ما انصرفَ المقعد إلى أهله إلَّا ماشياً على رجليه بإذن الله تعالى[3].

---

(١) فوقها في (خ): كذا. وما بين حاصرتين من المنتظم ٨/ ١٢٥، وصفة الصفوة ٣/ ٣٧٨.

(٢) في المنتظم ٨/ ١٢٦، وصفة الصفوة ٣/ ٣٧٩: حتى لا يشغلني عن عبادته وشكره وخدمته فكرٌ في شيءٍ من عرض الدنيا.

(٣) كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا (١٢٣).

مسعود الضرير العابد

وكنيته أبو جهير، البصريُّ الزاهدُ العابد، من قتلى صالح المري، ذكر واقعته جماعةٌ منهم ابن أبي الدنيا والخطيب، فقال الخطيب: أخبرني عبيدُ الله بن أبي الفتح الفارسيّ بإسناده عن صالح المُرِّيّ قال: قال لي مالك بن دينار: اغدُ بي يا صالح إلى الجبَّانة، فإنِّي قد وعدتُ نفراً من إخواني بأبي جهير مسعود الضرير، نسلِّم عليه، فقال صالح: وكان أبو جهير هذا قد انقطعَ إلى زاوية يتعبَّدُ فيها، لا يدخل البصرة إلَّا يومَ الجمعة في وقت الصلاة، ثمَّ يرجع من ساعته، قال: فغدوتُ لموعد مالك إلى الجبانة، وإذا به قد سبقني ومعه محمد بن واسع وثابت البُناني وحبيب العجمي، فقلتُ: هذا يوم سرور، فانطلقنَا نريدُه، فأتينَا منزلَه، فسألنا عنه، فقيل: الآن يخرجُ إلى الصلاة قال: فانتظرناه فخرج رجلٌ إن شئتُ أن أقولَ قد خرجَ من قبره لقلت. قال: فوثبَ رجلٌ فأخذ بيده، فأقامَه عند باب المسجد، فأذَّن، ثم دخلَ فصلّى ما شاء الله، ثم أقامَ الصلاة، فصلَّينا معه، فلمَّا قضى صلاته جلس كهيئة المهموم، فتوافر القوم في السلام عليه، فتقدَّم محمد بن واسع فسلَّم عليه، فردَّ السلام وقال: من أنت؟ قال: محمد بن واسع، قال: مرحباً وأهلاً، أنتَ الذي تقول هؤلاء ـ وأومأ بيده إلى البصرة ـ إنَّك أفضلُهم، لله [أبوك إن قمت بشكر ذلك]، فقام ثابت البناني فسلَّم عليه، فقال: من أنت؟ قال: ثابت، قال: مرحباً، أنت الذي يزعم أهل هذه القرية أنَّك من أطولهم صلاةً؟ فقام إليه حبيب العجمي فسلَّم عليه، فقال: من أنت؟ [قال: أنا حبيبٌ، أبو محمد] قال: مرحباً أبا محمد، أنت الذي تزعم هؤلاء القوم أنَّك لم تسأل الله شيئاً إلَّا أعطاك؟ فهلَّا سألتَه أن يخفيَ لك ذلك، وأخذ بيده فأجلسه إلى جنبه، فقام مالكٌ فسلَّم عليه، فقال: من أنت؟ فقال: مالك بن دينار، قال: بخٍ بخٍ! أبو يحيى، إن كنت كما يقولون، أنت الذي يزعمُ هؤلاء أنَّك أزهدهم، الآن تمَّت الأماني، قال صالح: فقمتُ لأسلِّمَ عليه، فأقبل على القوم وقال: انظروا كيف تكونون في مجمع القيامة، قال: فسلَّمتُ عليه، فقال: من أنت؟ قلت: صالح، قال: أبو بشر القارئ، قلت: نعم، فقال: مرحباً بك، قد أتمنَّاك على ربِّي، ثم قال: اقرأ عليَّ، فابتدأتُ، فما أتممتُ الاستعاذَة حتى خرَّ مغشياً عليه، ثم أفاق، فقال: عد إلى قراءتك، فقرأت قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] قال: فصاح

صيحة [ثم] انكبَّ لوجهه، وانكشفَ بعض جسده، وجعل يخورُ كما يخور الثور، ثم هدأ، فدنوتُ منه لأنظر ما به، فإذا قد فارق الدنيا، فخرجنا نسألُ هل له أحد؟ قالوا: عجوزٌ تخدمه، فأرسلنا إليها فجاءت، فقالت: ما له؟ قلنا: قُرِئ عليه القرآن فمات، قالت: فمن قرأ عليه، صالح القارئ لعلَّه قرأ عليه؟ قلنا: نعم، وما يدريك من صالح؟ قالت: لا أعرفه، غيرَ أنِّي كثيراً ما كنت أسمعُه يقول: إن قرأَ عليَّ صالحٌ قتلني. فهيأنَاه ودفنَّاه رحمةُ الله عليه[١].

إمامُ الأئمَّة وسراجُ الأمَّة

أبو حنيفة النعمان بن ثابت

ذكرهُ ابنُ سعد في الطبقة الخامسة من أهل الكوفة[٢]، والكلام على ترجمته في فصول:

الفصل الأول في ذكر نسبتِهِ ومنشئِه ومولده وطلبه العلم:

أمَّا مولده، قال أبو بكر الخطيب بإسناده إلى إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت: يقول: نحنُ من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقعَ علينا رقٌّ قط[٣].

وفي رواية الخطيب أيضاً عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أنه قال: جدِّي النعمانُ بن ثابت بن النعمان بن المرزبان بن زوطى من أهل كابل الأكاسرة، استرق جدي زوطى يوم القادسية، فولد النعمان، فذهبَ به أبوه إلى عليٍّ عليه السلام وهو صغير، فدعا له بالبركة وفي ذريته، فنحنُ نرجو أن نكونَ قد استجابَ الله فينا[٤].

واختلفوا في مولد أبي حنيفة على ثلاثة أقوال: أحدها: في سنة ثمانين من الهجرة، والثاني: سنة إحدى وثمانين، والثالث: سنة إحدى وستين[٥].

---

(١) المنتظم ٨/ ١٢٧ ـ ١٢٨، وصفة الصفوة ٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٤. وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٤٨.

(٤) لم أقف على هذا الخبر بهذا السياق، وفي تاريخ بغداد ١٥/ ٤٤٨ بعد قول إسماعيل بن حماد السالف قريباً: والله ما وقع علينا رقٌّ قط: ولد جدي في سنة ثمانين، وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب الله ذلك لعلي بن أبي طالب فينا.

(٥) قال الخطيب في تاريخه ١٥/ ٤٥٣ بعد ذكر هذا القول: لا أعلم لصاحب هذا القول متابعاً.

وأمَّا منشؤه فبالكوفة، بها ولد، وبها نشأ ثم سافر إلى الحجاز وغيره.

وأما طلبه العلم فروى الخطيب بإسنادِه قال: قال أبو حنيفة: لما أردتُ العلمَ جعلتُ أتخيَّر العلوم، وأسأل عن عواقبها، فقيل لي: تعلَّم القرآن، قلت: فماذا يكون إذا تعلَّمتُ القرآن وحفظتُه آخر أمري؟ قالوا: تجلسُ في المسجد فيقرأ عليك الصبيان والأحداث، ثمَّ لم تلبث أن يخرجَ فيهم من هو أحفظُ منك، فتذهبُ رياستُك.

قلت: فإن سمعتُ الحديث وكتبتُه حتى لم يكن في الدنيا أحفظُ منِّي، فما يكون آخر أمري؟ قالوا: إذا كبِرت وضعفت حَدَّثت واجتمعَ عليك الصبيان والأحداث، ثمَّ لا تأمن أن تغلط فيرموك بالكذب، فيصير عاراً عليك في عَقبك، فقلت: لا حاجةَ لي في هذا.

ثمَّ قلت: أتعلَّمُ النحو، فإذا حفظتُ النحوَ والعربيَّة فما يكون آخر أمري؟ قالوا: تقعدُ معلماً، فأكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة.

قلت: فإن نظرتُ في الشعر فلم يكن أحدٌ أشعرَ منِّي، ما يكون من أمري؟ قال: تمدحُ هذا فيَهبُ لك ويخلع عليك، فإن حرمَكَ هجوتَه، فتقذف المحصنات، فقلت: لا حاجةَ لي في هذا.

قلت: فإن نظرتُ في الكلام فما يكون آخره؟ قالوا: لا تسلم من النظر في مشنَّعاتِ الكلام، فتُرمى بالزندقة، فإمَّا أن تؤخذ فتقتل، وإمَّا أن تسلم فتكون مذموماً ملوماً.

قلت: فإن تعلَّمتُ الفقهَ، قالوا: تُسألُ وتُفتي الناس، وتُطْلَبُ للقضاء وإن كنت شاباً.

قلت: فليس في العلوم شيء أنفع من هذا، فلزمتُ الفقه وتعلَّمتُه[1].

قلت: وقد أتى أبو حنيفة على جميع هذه العلوم، فحكى الخطيب في «تاريخه» في غير موضع أنه ختمَ القرآن ثلاثين سنة[2]، وسمعَ الحديثَ من خلقٍ كثير، وكان نحويًّا لغويًّا.

---

(١) انظر لزاماً ما علقه الذهبي في السير ٦/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ حول وضع هذه القصة، وما في متنها من نكارةٍ دالَّة على اختلاقها.

(٢) أخرج الخطيب في تاريخه ١٥/ ٤٨٤ بإسناده إلى حفص بن عبد الرحمن قال: كان أبو حنيفة يحيي الليل بقراءة القرآن في ركعة ثلاثين سنة.

فصل: وأما ورعه وزهده ونحو ذلك:

فرَوى الخطيبُ عن يحيى بن سعيد القطَّان قال: جالسنا والله أبا حنيفة وسَمعنا منه، وكنتُ إذا رأيتُه أو نظرتُ في وجهه علمتُ أنَّه يخشى الله تعالى، أو يتَّقي الله[١].

وروى الخطيب عن ابن المبارك قال: قدمتُ الكوفةَ فسألتُ عن أزهد أهلها وأورعهم، فقالوا: أبو حنيفة[٢].

قد جعلَ على نفسه أنَّه لا يحلف بالله تعالى إلَّا تصدَّق بدرهم، فحلفَ بالله اتِّفاقاً فتصدَّق بدرهم، ثمَّ جعل على نفسه أنه متى حلف بالله تعالى تصدَّق بدينار، وكان على ذلك، وكان إذا أنفقَ على عياله نفقةً تصدَّق بمثلها، وكان إذا اكتسَى ثوباً جديداً كسا بقدر ثمنه الشيوخ من العلماء والزهاد، وكان إذا وُضِع بين يديه طعامٌ رفع منه جزءاً للفقراء والمساكين.

وروى الخطيب عن وكيع أنه قال: كان والله أبو حنيفة عظيمَ الأمانة، وكان الله في قلبه جليلاً عظيماً، يؤثرُ رضاه على كلِّ شيء، ولو أخذته السيوفُ في الله تعالى لاحتمل، فرضي الله عنه رضا الأبرار، فلقد كان والله منهم[٣].

وروى الخطيب أيضاً عن ابن المبارك قال: ما رأيتُ أحداً أورعَ من أبي حنيفة، لقد جُرِّبَ بالسياط والأموال فما التفت[٤].

وحكى الخطيب أيضاً عن المسعوديّ [عن أبيه][٥] قال: ما رأيتُ أحسنَ أمانة من أبي حنيفة، مات وعنده ودائع بخمسين ألفاً، ما ضاع منها دينارٌ ولا درهم.

وحكى أيضاً عن يوسف السَّمتيّ قال: أجاز أبو جعفر أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم في دُفعات لَمَّا قدم عليه بغداد، فقال: يا أمير المؤمنين إنِّي غريبٌ ببغداد، وليس لي منزلٌ، فاجعلها في بيت المال، فإذا خرجتُ أخذتها، فأجابه أبو جعفر إلى ذلك، فلمَّا

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٢.

(٢) هنا تم كلام عبد الله بن المبارك، وما بعده من كلام وكيع. انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٩، ٤٩٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩١.

(٥) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩١.

ماتَ أبو حنيفة أُخرجت ودائعُ الناس من بيته، فقال المنصور[١] : خدعنا أبو حنيفة رحمه الله.

فصل في عبادته وخشيته:

رَوى الخطيبُ عن سفيان بن عيينة قال: كان لأبي حنيفة مروءةٌ وصلاةٌ من الليل في داره، وكان الناس ينتابونَه فيصلُّون[٢] معه.

وكان يختمُ القرآنَ في ركعة وتره، وكان يُسمَّى الوَتِد لكثرة صلاته. وفي رواية: كان يُحيي الليلَ بركعةٍ يختمُ فيها القرآن ثلاثين سنة.

وروى الخطيب عن أسد بن عمرو قال: صلى أبو حنيفة الفجرَ بوضوءِ العشاء الآخرة أربعين سنة، وكان يُسمعُ بكاؤه عامَّة الليل حتى ترحمَه جيرانُه، وحُفِظ عنه أنَّه ختمَ القرآن في الموضع الذي كان فيه ساكناً[٣] سبعة آلاف مرة .

ورَوى الخطيبُ عن ابن المبارك أنَّه كان بالقادسية، فجاءَ رجلٌ فوقعَ في أبي حنيفة، فقال له ابن المبارك: ويحكَ! أتقعُ في رجل صلَّى خمساً وأربعين سنة خمس صلوات بوضوءٍ واحد، وكان يجمعُ القرآن في ركعتين في ليلة، وتعلَّمتُ العلمَ[٤] الذي عندي منه.

وروى الخطيب عن أبي يوسف قال: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة، إذ سمع رجلاً يقول: هذا أبو حنيفة لا يَنامُ الليل، فقال أبو حنيفة: والله لا يتحدَّث الناس عنِّي بما لا أفعل، وكان يحيي الليل كلَّه، صلاةً ودعاءً وتضرُّعاً[٥].

وروى الخطيب عن مِسْعر بن كِدام ـ وكان من العباد ـ قال: أتيتُ أبا حنيفة في مسجده، فرأيتُه يصلِّي الغداةَ ثم يجلسُ يعلِّمُ الناس طولَ نهاره إلى العشاء، فقلت في نفسي: متى يتفرَّغ هذا للعبادة؟ لأتعاهدنَّه الليلة، فتَعاهدته، فلمَّا هدأ الليل انتصبَ في المسجد قائماً إلى الصباح، فصلَّى الفجر، ثمَّ جلسَ للناس إلى العشاء الآخرة، ثم فعل

(١) في (خ): أبو حنيفة. وفوقها: كذا. والمثبت من تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٢ .
(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٣.
(٣) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٥ : في الموضع الذي توفي فيه.
(٤) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٥ : الفقه.
(٥) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٦.

في الليلة الآتية كفعلِه في الماضية، ثم تعاهدتُه ففعل أيَّاماً كثيرة، فقلت: لألزمنَّه حتى أموت، فيقال: إنَّ مِسْعراً ماتَ في مسجد أبي حنيفة وهو ساجد[١].

وقال خارجة: ختمَ القرآن في الكعبةِ أربعةٌ من الأئمة: عثمان بن عفان، وتميم الداريّ، وسعيد بن جُبير، وأبو حنيفة[٢].

قال[٣]: وكان أبو حنيفة يختمُ القرآنَ في شهر رمضان كلَّ يومٍ وليلةٍ مرتين.

وكان يقوم الليلَ بآيةٍ يردِّدُها، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧].

وحُكيَ عن الحسن بن صالح قال: كان أبو حنيفة ينشدُ دائماً هذا البيت: [من الطويل]

كفى حَزناً أنْ لا حياة هنيَّة ... ولا عملٌ يرضى به الله صالحُ[٤]

فصل: وأما حلمه واحتماله:

فروى القاضي الصيمريُّ عن يزيد بن هارون قال: ما رأيتُ أحلَمَ من أبي حنيفة، كان إذا بلغَهُ عن رجلٍ أنَّه نالَ منه، بعث إليه برفقٍ وقال: غفرَ الله لك، قد وكَلتُكَ إلى من يَعلمُ منِّي خلافَ ما قلت.

قال: وجاءه رجلٌ فنال منه. وقال: يا ابنَ الفاعلة، فبكى وقال: إنَّ الله يَعلمُ مني خلافَ ما قلت، فَرَقَّ الرجل وقال: أسألُك بالله إلَّا جَعلتني في حلّ، فقد أخطأت، فازداد بكاءُ أبي حنيفة وقال: أنت في حلّ.

فصل في فتاويه وما يتعلق بها:

قال أبو يوسف: قيل لأبي حنيفة: إن العرزميَّ[٥] يقول: كانت عائشةُ تسافر مع غير محرم، فقال أبو حنيفة: إنَّها أمُّ المؤمنين، فهي من جميع المسلمينَ ذاتُ محرم.

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٨.

(٣) القائل هو يحيى بن نصر، كما في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٨.

(٤) ذكره الصيمري في أخبار أبي حنيفة ص٣٦، لكن من رواية أبي يوسف.

(٥) في (خ): العرمي. والتصويب من شرح معاني الآثار للطحاوي ٢/ ١١٦.

وحكى الليث بن سعد قال: كنتُ أسمع بأبي حنيفة، فتَتوقُ نفسي إليه، فبينما أنا في المسجد الحرام إذا بالناس مجتمعين على رجلٍ، فدنوتُ من الحلقة ورجلٌ جالس، فقال له رجل: يا أبا حنيفة، إنِّي رجلٌ ذو مال، ولي ولد عاقّ، أزوِّجُه المرأةَ وأنفق عليه المال الكثير، فيطلقها، فيذهب مالي، وأشتري له الجاريةَ بالألوف، فيعتقها، فيذهب ثمنها، فهل عندك من فَرَجْ؟ فقال أبو حنيفة من غير فكرةٍ ولا رويَّة: نعم أدخله سوق الرقيق، فإذا وقعتْ عينُه على جارية فاشترها لنفسك، ثمَّ زوِّجْهُ إيَّاها، فإنْ طلَّقها رجعت مملوكةً لك، وإن أعتقَها لم ينفذ عتقه.

قال الليث: فوالله ما أعجبني ما رأيتُ من صوابه كما أعجبني ما رأيتُ من سرعةِ جوابه.

وقال شريك القاضي: عَجزت النساءُ أن تلدنَ مثل أبي حنيفة، فقيل له: وكيف؟ قال: كنَّا في جنازة غلامٍ من بني هاشم قد تبعَه وجوهُ الناس وأشرافهم، وإلى جانبي ابنُ شبرمة، فوقف الناس، فقلنا: ما للجنازة لا تنبعث؟ قالوا: خرجت أمُّ الغلام والهةً حاسرةً، وكانت جميلةً، فحلفَ أبوه بطلاقها لترجعن، وحلفتْ هي بصدقةِ ما تملك وعتق عبيدها لا رجعت حتى يصلَّى عليه، وكان في الجنازة علماء الكوفة، فسئلوا عن ذلك، فلم يكن عندهم فَرَج، وكان أبو الغلام قد رأى أبا حنيفة في طرف الناس فجاءه مستصرخاً وأخبره الخبر، فقال: ضعُوا الجنازةَ فوُضِعت، ثم قال للرجل: تقدَّم فصلِّ على ابنك، فصلى عليه، وقال لأمِّه: ارجعي، فقدْ خَرجت من يمينك، احملوا الميِّتَ. فتحيَّر الناس من سرعة فتياه وتدقيقِ فطنته.

وقال شريك القاضي: حدثني عليُّ بن عاصم قال: سألت أبا حنيفة عن درهمٍ لرجل، ودرهمين لآخر، اختلطوا، ثمَّ ضاع درهمان وبقيَ درهم واحد، ولم يُعلم من أيِّ الثلاثة هو، فقال: الدرهمُ الباقي بينهما أثلاثاً، قال: فلقيتُ ابن شبرمة، فسألتُه عنها، فقال: هل سألتَ أحداً؟ قلت: نعم، أبا حنيفة، قال: فما الذي قال؟ فأخبرتُه فقال: أخطأ، الدرهمُ الباقي بينهما نصفان احتياطاً وتعديلاً للقسمة، فلقيت أبا حنيفة فأخبرته وقلت: خُولفتَ في المسألة، وذكرَ له قول ابن شبرمة ـ وكان أبو حنيفة لو وزن عقلُه بعقلِ الأرض لرجح عليهم ـ فقال: إنَّ الثلاثة لَمَّا اختلطت وجبت الشركةُ بينهما، فصار لصاحب الدرهمِ ثلثُ كلِّ درهم، ولصاحب الدرهمين ثلثا كلِّ درهم، فأيُّ درهمٍ

ذهب ذهبَ بحصتهما. قال: فاستحسنتُ جوابه.

وقال عبد الله بن محمد العقيلي: شهدتُ بالكوفة وليمةَ أخوين تزوَّجا بأختين، فبني بهما في الليل، واجتمعَ الناسُ صبيحةَ تلك الليلة، وفي الوليمة أبو حنيفة وابن شبرمة والثوريُّ وابنُ أبي ليلى وغيرهم، فأبطؤوا بالطعام، فقيل: ما لهم؟ فقيل: غُلِطَ بالمرأتين فابتنى كلُّ واحدٍ من الأخوين بامرأة الآخر، فسُئل الثوريُّ فقال: لكلِّ واحدةٍ منهما مهر، وتعتدُّ بثلاثة قروء، وترجعُ إلى زوجها إن شاء، وقال كلُّ واحدٍ قولاً فلم يوافق القوم، وأبو حنيفة ساكت، فاجتمعوا إليه وسألوه فقال: عليَّ بالغلامين، فجاءَ فخَلا بكلِّ واحدٍ منهما وقال له: أراغبٌ أنت فيما هجمتَ عليه، فقالا: نعم، فقال: لكلِّ واحد منهما طَلِّق امرأتَك واعقد على التي دَخَلْتَ بها، ففعلا، وكبَّر الناس، وحضرتِ الموائدُ فأكلوا.

وروى الخطيبُ عن الحسن بن زياد اللؤلؤيّ قال: كانت بالكوفة مجنونةٌ يقال لها: أم عمران، وكانت تجلس بالكُناسة، فمرَّ بها رجلٌ فكلَّمها بشيءٍ لم تؤثره، فقالت له: أيا ابن الزانيين، وابن أبي ليلى يسمع، فأمرَ بإدخالها المسجد، وأقام عليها حدَّين؛ حداً لأبيه، وحداً لأمِّه، وبلغ أبا حنيفة فقال: أخطأ في ستة مواضع؛ أقام الحدَّ في المسجد، ولا تقامُ الحدود في المساجد، وضربَها قائمةً، ولا تُضربُ النساءُ قياماً بل قعوداً، وضربها حدَّين، وإنما تضرب حداً واحداً، وهي مجنونةٌ، والمجنونُ لا حدَّ عليه، وضربها حدين لأبيه وأمه، وهما غائبان، ولا يجوزُ إقامة الحدِّ للغائب حتى يحضر.

قلت: وقد أخطأ ابن أبي ليلى في كونه قَضى بعلمه من غير دعوى؛ لأنَّه قال في أول الحكاية: وابن أبي ليلى يسمع[1].

وسُئل أحمد بن حنبل عن مسألةٍ، فأجاب، فقيل له: إنَّ ابن المبارك لم ينزل من السماء[2]. وقد ينبه الصغيرُ لمَا يخفى على الكبير والمتأخِّر عن المتقدم في كلِّ عصرٍ

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨٠. وجاء في هامش (خ) ما نصه. قلت: الظاهر أن يكون بعد الدعوى، وقد طويت في الكلام بناء على متعارف الفقهاء بل العوام من أن الحكم لا يتحقق قبل الدعوى.
وانظر تفسير القرطبي ٨/ ١٥١ـ١٥٢.

(٢) كذا، ولم أقف عليه بهذا السياق. وفي طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٣٢٩: سأل رجل أحمد بن حنبل، فقال: أكتب كتب الرأي؟ قال: لا تفعل، عليك بالآثار والحديث. فقال له السائل: إن عبد الله بن المبارك قد كتبها، فقال له أحمد: ابن المبارك لم ينزل من السماء، إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق.

وأوان، وقد قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال عبد الله بن أبي داود الحربي: أرادَ الأعمشُ الحجَّ، فقال: من هاهنا، نذهبُ إلى أبي حنيفة، يكتب لنا منه مناسكَ الحجّ.

فصل في مناظرته لقتادة:

روى النضر بن محمد قال: قدمَ قتادةُ الكوفة، فنزل دارَ أبي بُردة، فجلسَ يوماً للناس، وقد اجتمع إليه أشرافُ الكوفة وعلماؤهم، فقال: لا يسألني اليومَ أحدٌ عن الحلال والحرام إلَّا أجبتُه، فقام إليه أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب، ما تقولُ في رجلٍ غاب عن أهله أعواماً، فظنَّتِ امرأتُه أنَّه قد مات، فتزوَّجت، ثمَّ رجعَ زوجُها الأول، ما تقول في صداقها؟ فقال: أَوَقَعَتْ هذه المسألة؟ قال: لا، قال: فلم تسألني عن شيءٍ ما وقع[1]؟ فقال أبو حنيفة: إنَّا نستعد للأشياء قبلَ وقوعها[2]، فإذا وقعَ الشيءُ عرفنَا الدخول فيه والخروج منه.

فقال: اسألوني عن التفسير، فقال أبو حنيفة: ما تقول في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النمل: ٤٠] من هو؟ قال: آصف بن برخيا، وكان يعرفُ الاسم الأعظم، فقال أبو حنيفة: أفيجوز أنْ يكون في زمان نبيٍّ من هو أعلم منه؟ فانقطع قتادة[3].

وفي روايةٍ أنَّ أبا حنيفة سأله فقال له: ما تقول في امرأة غاب زوجها فنُعِيَ إليها، فاعتدَّت ثم تزوَّجت رجلاً، فقدم الأول الغائب؟ فقال لها: كيف تزوَّجْتِ وأنا غائب؟ وقال لها الثاني: كيف تزوَّجتِ ولكِ زوج؟ فقال قتادة: لا أجيبُكم في هذا بشيء، اسألوني عن التفسير، فسأله عن آصف، فقال قتادة: من أين أنت؟ فقال: من أهل الكوفة، فقال: من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً؟ فقال: لا، ولكنِّي أفضِّلُ الشيخين،

(١) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٧٧: فلم تسألني عمَّا يقع.

(٢) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٧٧: للبلاء قبل نزوله.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨. قال محققه: إسناده ضعيف، فإن النضر بن محمد القرشي العامري المروزي المتوفى سنة ١٨٣ هـ يبعد أن يكون أدرك الخبر، فإن قتادة توفي سنة ١١٧ تقريباً ولا نعلم للنضر رواية مبكرة مثل هذه، فهو يروي عن أبي حنيفة وطبقته.. وآثار الوضع ظاهرة عليه.

وأحبُّ الحسنين أو الختنين، وأمسحُ على الخفين، وأصلي خلف كل برٍّ وفاجر، ولا أُكَفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب، فقال له قتادة: عرفْتَ فالزم. وتفرَّق الناس عن قتادة.

وقال أبو مطيع: كان ابن المبارك يقول إذا ذُكر أبو حنيفة: ما يُقال في رجلٍ عُرِضت عليه الدنيا والأموالُ الجليلة فردَّها.وقد ذكرنا أنَّ أبا جعفر أعطاهُ مالاً فلم يقبله.

فصل: فأمَّا جودُه وسماحتُه وكرم أخلاقه:

رَوى الخطيب عن قيس بن الربيع قال: كان أبو حنيفة رجلاً ورعاً فقيهاً محسوداً، وكان كثير الصلةِ والبرِّ لكلِّ من جاء إليه، كثير الإفضالِ على إخوانه[١].

وقال قيس بن الربيع: كان أبو حنيفة يبعثُ بالبضائع إلى بغداد، فيشتري بها الأمتعة وما يحتاجُ إليه الشيوخُ المحدِّثين والفقهاء والزهَّاد، ويدفعُ إليهم النفقات، ويقول: احمدوا الله تعالى، فإنِّي ما أعطيتُكم من مالي شيئاً، هذه أرباحُ بضائع أَجرى الله أرزاقَكُم منها على يدي[٢].

وروى الخطيب عن شيخٍ سمَّاه أبو سعيد الكندي قال: كان أبو حنيفة يبيع الخَزَّ، فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا حنيفة، قد احتجتُ إلى ثوب خَزٍّ، فقال: ما لونه؟ قال: كذا وكذا، قال: اصبر حتى يقع وآخذه لك، فما دارت الجمعة حتى وقعَ، فجاء الرجل، فقال له أبو حنيفة: قد وقعت حاجتُك، ثم أخرج إليه ثوباً فأعجبه، فقال: يا أبا حنيفة كم أزن للغُلام، فقال: درهماً، فقال: أتهزأ بي؟ فقال: لا والله، إنِّي اشتريتُ ثوبين بعشرين ديناراً ودرهماً، فبعتُ أحدَهما بعشرين ديناراً، وبقي هذا بدرهم، وما كنتُ لأربحَ على صديقٍ، فأخذه[٣].

وروي عن أبي يوسف ورواه الخطيب عن أبي مطيع عن أبي حنيفة قال: دخلتُ على أبي جعفر فقال: يا أبا حنيفة، عمَّن أخذتَ العلم؟ قلت: عن حماد بن أبي سليمان

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٣. قال محققه: إسناده تالف، فيه أحمد بن عطية هو الحماني الكذاب، ومتن الخبر منكر، فأين كانت بغداد، وإنما قدمها أبو حنيفة عند تأسيسها، وتوفي ولم تكن قد أصبحت مدينة حضرية فيها الأسواق.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٥.

[عن إبراهيم] عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، فقال: لقد استوثقتَ لنفسك[١].

وروى الخطيب عن عبد الله بن رجاء قال: كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة إسكاف، يعمل نهارَه، فإذا جاء إلى بيته شربَ ليلاً، فإذا دبَّ فيه السكر غزل بصوت يقول: [من الوافر]

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعُوا ... ليومٍ كريهةٍ وسِدَاد ثغر
كأنِّي لم أكن فيهم وسيطاً ... ولم تكُ نسبتي في آل عمرو
أُجرَّرُ في المجامعِ كلَّ يومٍ ... فيالله مظلمتي وصبري

والأبيات للعرجي وقد ذكرناها في ترجمته.

قال: فلا يزالُ يردِّدُ الأبيات حتى ينام، وأبو حنيفة يسمعُ صوتَه عامة الليل، ففقدَ صوته ذاتَ ليلة، فسأل عنه، فقالوا: أخذه العَسَس وهو محبوس، فصلَّى أبو حنيفة الفجرَ ومضى إلى الأمير، فلما علمَ بمجيئه قال: لا يدخل عليَّ إلَّا راكباً حتى يطأ بساطي، وخرج إليه والتقاه ورحَّب به، وقال: أنا كنتُ أولى بقصدك، ما حاجتك؟ قال: جاري الإسكاف أخذه العسس، فأمر بإطلاقِه وإطلاق كلِّ المحبسين[٢]، فركبَ أبو حنيفة، وجاء الإسكافُ فقبَّل يديه، فقال: يا هذا ما أضعناك[٣] ؟ فقال: لا والله، بل حفظتَ ورعيتَ، فجزاكَ الله عن جوارك خيراً، ثمَّ تاب الرجلُ فلم يعد إلى ما كان عليه.

وروى الصيمري عن أبي يوسف قال: قال هارون الرشيد: صف لي أبا حنيفة، قال: فقلتُ: كان والله شديد الذبِّ عن محارم الله، طويلَ الصمت، دائمَ الفكر، لم يكن مِهْذَاراً ولا ثرثاراً[٤] ، مشتغلاً بما هو فيه عن الناس، لا يذكر أحداً إلَّا بخير. فقال هارون: هذه والله أخلاق الصالحين.

وذكر أبو القاسم بن النفيس بإسناده إلى خارجة بن مصعب قال: خرجتُ إلى

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٨. قال محققه: إسناده ضعيف، أبو مطيع هو الحكم بن عبد الله البلخي، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث... وكلُّ الأخبار التي رويت له مع أبي جعفر فيها نظر، فإن العلاقة بينهما كانت متوترة، وقلَّما اتصل أبو حنيفة به.

(٢) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٧ أنه أفرج عن كل من أخذ في تلك الليلة إلى ذلك اليوم.

(٣) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٧ : يا فتى أضعناك؟

وانظر الخبر أيضاً في أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص٤١.

(٤) في (خ): ترثا. والتصويب من التذكرة الحمدونية ٢/ ٢٢٢.

الحجِّ، فأودعتُ جاريتي عند أبي حنيفة، ثم مضيتُ إلى اليمن فأقمت أربعة أشهر، وعدتُ إلى الكوفة، فدخلتُ على أبي حنيفة مسلِّماً، فقلت: كيف رأيتَ خدمة الجارية؟ فقال: والله ما أبصرتها، وكيف تتوهَّم أني استخدمتُها؟ فسألت الجارية عن أخلاقه في منزله فقالت: والله ما رأيتُ في الدنيا مثلَه، لقد رصدته أربعةَ أشهر فما اغتسلَ من جنابة، فسألتُ جاريته فقالت: إنَّما ترك هذا خشيةَ أن تحنين إلى مثل ذلك[١].

وقال أبو يوسف: جاءه رجل فقال: إنِّي وضعتُ كتاباً على لسانكَ إلى فلان، فوهبَ لي أربعة آلاف درهم، فقال أبو حنيفة: إن كنتم تنتفعونَ بهذا فافعلوا.

وروى الخطيب عن سهل بن مُزاحم قال: كان أبو حنيفةَ كثير التفضُّل على إخوانه، باذلاً لهم حتى عرضه، وكان يقول: اللهم من ضاق صدره بنا، فإنَّ قلوبَنا قد اتسعتْ له[٢].

فصل: وأما وفور عقله وبره بوالديه:

روى الخطيب عن ابن المبارك قال: قلت لسفيان الثوري: ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة، ما سمعتُه يغتابُ عدوًّا له قط، فقال سفيان: هو والله أعقلُ من أن يسلِّطَ على حسناتِه ما يذهب بها[٣].

وروى الخطيب عن عليِّ بن عاصم قال: لو وُزِنَ عقل أبي حنيفة بعقل نصفِ [أهل] الأرض لرجَحَ[٤].

وحكى الخطيب عن خارجة بن مصعب أو يزيد بن هارون قال: ما رأيتُ أورعَ ولا أعقلَ ولا أفضلَ من أبي حنيفة[٥]، وما وقع أحدٌ في أبي حنيفة إلَّا دلَّ على نقصانِ عقله[٦].

وحكى الخطيب أيضاً أنَّ أبا حنيفةَ كان يجيء بوالدتِه في شهر رمضان إلى مسجد

(١) وأخرجه أيضاً الصيمري في أخبار أبي حنيفة ص٣٨.
(٢) انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٤٨١.
(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٧.
(٤) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٧، وما بين حاصرتين منه.
(٥) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٨ من قول يزيد بن هارون.
(٦) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٩٨ من قول خارجة بن مصعب.

عمر بن ذر، فيصلِّي إلى السحر، وكان بيتُه بعيداً من المسجد[١].

وقال حجر بن عبد الجبَّار الحضرميّ: كان في مسجدنا قاصٌّ يقال له زُرعة، فأرادت أمُّ أبي حنيفة أن تستفتي في شيءٍ، فأفتاها أبو حنيفة، فلم تقبل وقالت: لا أقبل إلَّا من زُرعة القاصّ، فجاء بها أبو حنيفة إلى زُرعة، فقال: هذه أمِّي تستفتيك في كذا وكذا، فقال: سبحان الله، معك أَيْشٍ أقول؟! فقال: لا بدَّ أن تفتيَها، فقال لها: الجواب كذا وكذا، فقال أبو حنيفة: قد قلت لها هذا ولم تقبل، فقال لها زرعة: القولُ ما قالهُ أبو حنيفة، فرضيت وانصرفت[٢].

وروى الخطيب عن أبي يوسف قال: قال لي أبو حنيفة: لا تسألني عن أمر الدين وأنا ماشٍ، ولا قائم، ولا متكئ، فإنَّ هذه الأماكن لا يجتمعُ فيها عقلُ الرجل[٣].

فصل: فأمَّا صفتُه وصفة لباسه:

فروي عن أبي يوسف أنَّه قال: كان أبو حنيفة ربعةً من الرِّجال، ليس بالقصير ولا بالطويل، وكان أحسنَ الناس منطقاً، وأحلاهم نغمةً[٤]، حسنَ الوجه، حسنَ الثياب، طيِّبَ الرائحة، سريعاً إلى مواساة الإخوان.

وروى إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه قال: كان أبي طوالاً[٥] تعلوه سمرةٌ، وكان كثيرَ التعطُّر، يُعرَف بطيب الريح إذا أقبلَ من شدَّة تعطُّره. والأول أشهر.

فصل: وأمَّا ضربُه على القضاء ونحوه:

روَى الخطيب بإسناده قال: كلَّم ابنُ هُبيرة أبا حنيفة أنْ يَليَ القضاء، فأبى، فضربه مئةَ سوطٍ وعشرةَ أسواط، كلَّ يومٍ عشرة، وكان ابن هُبيرة عاملَ بني أمية على العراق[٦].

قال أبو بكر بن عياش: وكان ذلك في أيَّامٍ باردة، ثمَّ قُيِّدَ بأثقلِ الحديد وحبس.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر الخبر بنحوه في تاريخ بغداد ١٥/ ٥٠١.

(٣) انظر الخبر في التذكرة الحمدونية ١/ ٤٤٢.

(٤) إلى هنا كلام أبي يوسف، وما بعده هو من كلام أبي نعيم. انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٣.

(٥) في تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٤ : عن عمر بن حماد بن أبي حنيفة أن أبا حنيفة كان طوالاً.

(٦) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٤٨.

قال الخطيب: فجاءتهُ أمه فقالت: يا نعمان، إنَّ علماً أفادك الضرب والحبس لحقيقٌ بك أن تنفر عنه، فقال: يا أمَّاه لو أردتُ الدنيا لما ضُربت، ولكن أردتُ وجهَ الله وصيانةَ العلم، ولم أعرِّضه للهلكة.

وقال الخطيب بإسناده عن ابن داود: لما امتنعَ أبو حنيفة من ولاية القضاء حَلف ابن هُبيرة لئن لم يفعل ليضربنَّه بالسياط على رأسه، فقال أبو حنيفة: ضربهُ في الدُّنيا أسهلُ عليَّ من مقامع الحديد في الآخرة، والله لو قتلني لما فعلت. وبلغَ ابن هُبيرة فقال: بلغ من قدره أن يعارضَ يميني بيمينه، فدعا به فشافهه، فقال: يا ابنَ هبيرة، إنَّما هي موتةٌ واحدةٌ، فضربَه على رأسه عشرين سوطاً، فقال له أبو حنيفة: يا ابنَ هُبيرة، اذكر مقامك غداً بين يدي الله تعالى، فإنَّه أذلُّ من مقامي بين يديك، ولا تتهدَّدني، فإنِّي أقول: لا إله إلَّا الله، واللهُ سائلُك عنِّي، فأمرَ به إلى السجن، فانتفخَ رأسُه ووجهُه، فرأى ابن هُبيرة في تلك الليلة رسولَ الله ﷺ في المنام وهو يوبِّخه ويعاتبُه لأجله، فاستحضَره واستحلَّه وأطلقَه.

ورَوى الخطيب أنَّ أبا حنيفة كان يخرجُ كلَّ يوم فيضرب، فبكى بكاءً شديداً وقال: إنَّ غمَّ والدتي أشدُّ عليَّ من الضرب[1].

وروى الخطيب عن ابن المبارك قال: أشخص أبو جعفر أبا حنيفة إلى بغداد وأراده على القضاء، فأبى فحلفَ ليفعلنّ، فحلفَ أبو حنيفة أن لا يفعل، فقال الربيع: أميرُ المؤمنين: يحلفُ وأنتَ تحلف، فقال: هو أقدر على كفارة يمينه منِّي، فأمر به إلى السجن فمات فيه[2]، وسنذكره.

وقال أبو حنيفة لبعض أصحابه: أوصيكُم أن لا يليَ أحدٌ منكم القضاء، وإن دعته الضرورة إلى الدخول فيه فلا يجعلْ بينه وبين الناس حاجباً، وأوصاهم.

فصل في رؤياه النبيَّ ﷺ:

روى الخطيب عن هشام بن مهران قال: رَأى أبو حنيفة في المنام كأنَّه نبشَ قبر النبيِّ ﷺ، فبعث إلى ابن سيرين فسألَه فقال: صاحبُ هذه الرؤية يثوِّرُ علماً لم يُسبق إليه،

(١) انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٤٤٩.

(٢) انظر تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٠.

فحينئذٍ نظرَ أبو حنيفة وتكلَّم[١]. وفي رواية: هذا رجلٌ يحيي سنَّةَ رسول الله ﷺ.

وروي أنَّ الشافعيَّ ولد في السنة التي مات فيها أبو حنيفة.

وروى القاضي أبو حازم عن وكيع بن الجرَّاح قال: كنَّا عند أبي حنيفة، فجاءته امرأةٌ فقالت: يا أبا حنيفة مات أخي وترك ستَّ مئة دينار، فأعطوني ديناراً واحداً، فأطرقَ، ثمَّ رفعَ رأسه وقال: خلَّف أخوك بنتين وأمًّا وزوجةً واثني عشر أخاً وأنت؟ قالت: نعم، قال: للبنتين الثلثان أربع مئة، وللأم السدس مئة دينار، وللمرأة الثمن خمس وسبعون ديناراً، بقي خمسةٌ وعشرون؛ للإخوة أربعة وعشرين، لكلِّ واحدٍ ديناران، بقي لك دينارٌ واحد[٢].

وقال محمد بن الحسن: دخلَ اللصوصُ دارَ رجلٍ، فأخذوا متاعَه، وأحلفوه بالطلاق ثلاثاً أنَّه لا يتكلَّم، وأصبح الرجل، فرأى قماشه في السوق يباع، وهو لا يقدرُ على الكلام، فجاء إلى أبي حنيفة، وأشار إليه أدنى إشارة، ففهم، فجمعَ أبو حنيفة أربابَ التُّهم في المسجد، وقال للرجل: اقعد على باب المسجد، وجعل يُخرِجُ واحداً واحداً، ويقول: هذا الذي أخذَ قماشك، فإن كان غيرَه أخذ، قال: لا، وإن كان أخذ سكت، فردُّوا عليه جميعَ ما أخذ منه.

فصل في وفاته:

حكى الخطيب عن الواقديِّ قال: أشخصَ أبو جعفر المنصور أبا حنيفة من الكوفة إلى بغداد[٣]، وعَرضَ عليه القضاء فامتنع، فحبسَهُ فأقام في حبسِه خمسة عشر يوماً، وماتَ فدُفنَ في مقابر الخيزران سنة خمسينَ ومئة، وعمرُه سبعون سنة.

وحكى الخطيبُ أيضاً عن الصيمريِّ أنه سمَّ في سويق، فامتنع من شربه، فقال: لتشربنَّه مُكرهاً، فشربه، ثم قام مبادراً، فقال له أبو جعفر: إلى أين؟ قال: إلى حيثُ بعثتَ بي! فمضوا به إلى السجن، فمات وهو ساجد[٤].

---

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٩.

(٢) جاء في هامش (خ) ما نصه: روي هذا عن علي رضي الله عنه.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٤٥٢.

(٤) انظر أخبار أبي حنيفة للصيمري ص٨٧.

وحكى الخطيب عن عبد الله بن مطيع عن أبيه قال: رأيتُ جنازةً أيَّام أبي جعفر يحملُها اثنان، وخلفَها رجلٌ بباب خراسان. وقيل يحملها أربعة[١]، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: لرجلٍ من أهل الكوفة يقال له: أبو حنيفة، مات في السجن، فلمَّا جازوا بها بابَ خراسان، كأنَّما نُودي في الناس، فعبرنا به إلى الجانب الشرقي، وصلَّوا عليه عند باب الجسر، ثمَّ كثر الزحام، فلم يصلُوا به إلى مقبُرة الخيزران إلى بعد العصر، وجاء أبو جعفر المنصور فصلَّى على قبره، ومكثَ الناسُ يصلُّون على قبره أربعين يوماً، وقيل: عشرين يوماً، وكان قد أوصَى أن يُدفن في الجانب الشرقيّ؛ لأنَّ الجانب الغربي غَصْبٌ، وقد ذكرناه.

وحكى ابن سعد عن الواقدي قال: كنتُ بالكوفة أتوقَّع قدومَه، فجاء نعيُه[٢].

وقيل: إنَّه تكلَّم في أيَّام خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فحُبس بهذا السبب.

واختلفوا في أي شهر مات فقال الخطيب: في رجب[٣]، وقال الصيمري: في شعبان[٤]، وقال أبو يوسف: في شوال.

قال: ولَمَّا دُفِن سمع الناس ثلاثَ ليالٍ عند قبره صوتاً ـ ولا يرون شخصاً ـ وهو يقول: [من الرمل]

ذهبَ الفقهُ فلا فقهَ لكم ... فاتَّقوا اللهَ وكونوا خلفَا
مات نعمان فمن هذا الذي ... يحيي الليل إذا ما سدفا[٥]

وروى الربيع عن الشافعي أنه قال: إنِّي لأتبرَّك بقبر أبي حنيفة، فإذا عرضت حاجةٌ إلى الله تعالى قصدتُه، وصلَّيتُ عنده ركعتين، فما يبعدُ قضاؤها[٦].

ورؤيت له مناماتٌ كثيرة، فروى الخطيب عن السري بن طلحة قال: رأيتُ أبا حنيفة

(١) في أخبار أبي حنيفة ص٨٨. وخلفها رجل ومعها أربعة أنفس.
(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٩.
(٣) تاريخ بغداد ١٥/ ٥٨٤.
(٤) في أخبار أبي حنيفة ص٨٩ : توفي أبو حنيفة في رجب أو شعبان.
(٥) في أخبار أبي حنيفة ص٢ : سجفا.
(٦) أورده الصيمري في أخبار أبي حنيفة ص٨٩ من طريق علي بن ميمون.

في المنام، فقلت له: من أينَ أقبلت؟ قال: من عند ربِّ العزَّة، أنصفَني من سفيانَ الثوري.

وروى شبابة بن سوار عن أبيه قال: رأيتُ أبا حنيفة في المنام في حالةٍ حسنة، فقلت: ما فعلَ الله بك؟ قلت[1]: غفرَ لي، قلت: بالعلم؟ فقال: هيهات: إنَّ للعلم آفات، وإنَّما غفرَ لي بقول الناس فيَّ ما لم يعلمه الله منِّي.

وقال القاضي الصيمري: ومن مدائح ابنِ المبارك في أبي حنيفة هذه الأبيات: [من الوافر]

لقد زانَ البلادَ ومن عليها ... إمامُ المسلمين أبو حنيفَهْ
بآثارٍ وفقهٍ مع حديثٍ ... كآيات الزبورِ على صحيفَهْ
فما في المشرقينِ له نظيرٌ ... ولا في المغربين ولا بكوفَهْ
رأيتُ العائبين له سِفاها ... خلاف الحقِّ مع حُججٍ ضعيفَهْ
يبيتُ مشمِّراً سهرَ الليالي ... وصامَ نهارَه لله خيفَهْ
وصانَ لسانَه عن كل إفْكٍ ... وما زالتْ جوارحه عفيفَهْ
يعف عن المحارم والملاهي ... ومرضاةُ الإلهِ له وظيفَهْ
فمن كأبي حنيفةَ في نداهُ ... لأهل الفقر في السنةِ الجحيفَهْ
وكيف يحلُّ أن يؤذَى فقيهٌ ... له في الدين آثارٌ شريفَهْ
وقد قال ابنُ إدريسٍ مقالاً ... صحيح النقل في حِكَمٍ لطيفَهْ
بأنَّ الناس في فقهٍ عيالٌ ... على فقهِ الإمام أبي حنيفَهْ

وقيل فيه أشعار كثيرة.

وروى الخطيب عن أحمد بن الحسن الترمذي قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله، ما ترى ما الناس فيه من الاختلاف؟ فقال: في أيِّ شيء؟ فقلتُ: فيما بين أبي حنيفة ومالك والشافعي، فقال: أمَّا أبو حنيفة فما أدري من هو، وأمَّا

(١) فوقها في (خ): كذا، وبالهامش: لعلها: قال.

مالك فقد كتب العلم، وأمَّا الشافعي فمنِّي وإليَّ[١].

قلت: هذا من قلَّة فهم الخطيب والذي رأى المنام؛ لأنَّه كيف يُظَنُّ برسول الله ﷺ أنَّه لا يعرفُ أبا حنيفة، أليس قد ثبت عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «تُعرَضُ عليَّ أعمالُ أمتي يوم الاثنين والخميس»[٢] ؟ فلا بدَّ أن يَعْرِفَ من يعرض عليه من أمَّته[٣] ، ثمَّ هذا معارَضٌ بما رَوى الفضلُ بن خالد قال: كنتُ أبغضُ أبا حنيفة، فرأيتُ رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: إنَّ كلامَ أبي حنيفة ككلام لقمان الحكيم، لا بل يزيدُ عليه، فرجعتُ إلى عند أبي حنيفة[٤].

وقد قال العوَّام بن حوشب: اذكروا محاسن السلف؛ لتجمعوا القلوبَ عليهم، ولا تذكروا مساوئَهم فتنفِّروا النفوس عنهم.

انتهت ترجمةُ أبي حنيفة رضي الله عنه.

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٣٨٠ (ترجمة أحمد بن عبد الله بن علي الفرائضي).

(٢) لم أقف عليه، ولعله يريد ما أخرجه الحارث في مسنده (٩٥٣ ـ بغية الباحث) من حديث بكر بن عبد الله المزني قال: قال رسول الله ﷺ : «حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما كان من حسن حمدت الله عليه، وما كان من سيءٍ استغفرت الله لكم». قال البوصيري في اتحاف الخيرة المهرة ٧/ ٧٤ : هذا مرسل ضعيف، جسر بن فرق القصَّاب أبو جعفر البصري؛ مجمع على ضعفه، ولم أر من وثقه.

(٣) جاء في هامش (خ) ما نصه: لعله يريد أن كلًّا من الخطيب والترمذي حملا النفي الواقع في كلام النبي ﷺ ـ فيما رآه الترمذيُّ ـ على ظاهره، والذي ينبغي أن يحمل عليه الحمل على زيادة فضله، وعدم بلوغ التحمل إلى حقيقته ونهايته، والتعبير بصيغة التكلم من قبيل قوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ والله أعلم.

(٤) ولا يخفى أن المنامات لا يعتمد عليها في إثبات فضيلة ولا في إنقاص منزلة.

obeikandl.com